معالِمُ الإعجازِ العقديِّ في القراءاتِ القرآنيَّة
(دراسةٌ تطبيقيةٌ)

إعداد :

د. أحمد بن علي السديس

د. أحمد بن علي السديس

- عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية.
- الأستاذ المشارك بقسم القراءات – كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية– الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.
- نائب رئيس مجلس إدارة جمعية (تبيان).
- حصل على درجة الماجستير من قسم القراءات –كلية القرآن والدراسات الإسلامية – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة بأطروحته : المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر للإمام النشار من أول الكتاب إلى نهاية سورة الإسراء" دراسةً وتحقيقاً .
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القراءات –كلية القرآن والدراسات الإسلامية –الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة بأطروحته : القصيدة المالكية في القراءات السبع" للإمام ابن مالك (دراسة وتحقيق وشرح) .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الخلق أجمعين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً أما بعد:

فإن إعجازَ القرآن الكريم أمرٌ متقررٌ معلوم، تواترتْ عليه النصوص الشرعية، وثبت بالقواطع العقلية والنقلية، وتفنن علماءُ الإسلام، وشرَفُ الأنام في بيان أوجه إعجازه، والتنويه بنزله ومكانه، ولهم في تقرير هذا المسلك مشاربُ متعددة، تدل بمجموعها على إثبات وجه الإعجاز فيه[1].

وإنني في هذا البحث المختصر آثرت الوقوفَ على وجه إعجاز القرآن الكريم من خلال تنوع وجوه قراءاته، واختلاف رواياته؛ وهذا أمر قرره العلماء، وأشاد به الأئمة الفصحاء[2] بقولهم: إن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات؛ وهذا التركيب على قلة حروفه، واسعُ الدلائل، شريفُ المسائل؛ إذ به يظهر شرف القرآن، ومباينته سائرَ وجوه الكلام، ولما كانت دلالةُ تنوع القراءات على الإعجاز واسعةً مديدةً جعلتُ الحديثَ في مقصد من هذه المقاصد؛ وهو دلالة اختلاف القراءات على تحقيق الإعجاز العقدي في آيات القرآن الكريم، وغير خاف على فطنة القارئ اللبيب أن معالِمَ هذا البحث ومسالكه تتجه إلى الآيات ذات العلاقة بالاعتقاد،

---

(١) انظر كلام الزركشي في البرهان؛ في النوع الثامن والثلاثين في معرفة إعجازه: ٢/ ٢١٨، وما بعدها.

(٢) سيأتي مزيد بيان في المبحث الثالث ضمن مباحث التمهيد.

المشتملة على وجوه قراءات متعددة، على ما سيظهر إن شاء الله، وقد جعلتُ الدراسةَ تطبيقية على مواضع من القرآن الكريم؛ لأن البحث يطول استقصاء أفراد أجزائه، والمقصود ظهور الأمر بالمثال، والله وحده المسؤول أن يمدني بتوفيقه، ويشملني بفضله وتسديده، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

١- ظهور وجه الإعجاز في كتاب الله تعالى في هذا النوع من اختلاف القراءات وتنوعها.
٢- بيان المعاني العظيمة المستخلصة من اختلاف القراءات في بعض آيات الاعتقاد.
٣- قلَّة الدراسات في مثل هذا النوع من وجوه الإعجاز في الكتاب المجيد.
٤- إثبات الصلة الوثيقة لعلم القراءات بسائر العلوم، ومنها علم الاعتقاد.
٥- لفت أنظار المهتمين والدارسين في هذا المجال إلى مثل هذه الممارسة العلمية المشتركة، وذلك مسلك من مسالك التجديد المشروع في تلقي ها العلم الشريف.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث، تتضمن الدراسة التطبيقية، وخاتمة، وفهرسين؛ أحدهما للمصادر، والآخر للموضوعات.
أما المقدمة فتضمنت: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث،

ومنهج البحث.

وأما التمهيد فتضمن ثلاثة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية

المطلب الثالث: إعجاز القراءات القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين.

ثم الدراسة التطبيقية في مباحثها الستة، وتضمنت دراسة تطبيقية لمواضع من القراءات القرآنية الدالة على تحقق وجه الإعجاز العقدي فيها؛ جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا"

المبحث الثاني: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: " بل عجبت ويسخرون "

المبحث الثالث: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"

المبحث الرابع: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً"

المبحث الخامس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "وما هو على الغيب بضنين"

المبحث السادس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "ذو العرش المجيد"

ثم الخاتمة، وتضمنت نتائج البحث، وما يلي ذلك من توصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع، يتلوه فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، متبعًا الخطواتِ التاليةَ:

١- اقتصرتُ في اختيار الآيات التي ورد فيها خلاف على بعضٍ من المتواتر فقط؛ مما يظهر به وجه الإعجاز العقدي بوضوح.

٢- رتَّبتُ المواضعَ المختارةَ حسب ترتيب سورها في القرآن الكريم.

٣- ألتزمُ ذكرَ القراءاتِ الواردة في الآية منسوبة إلى أصحابها.

٤- ألتزمُ ذكرَ توجيه القراءتين بما يكشف المعنى، ويقرر المراد من غير تطويل.

٥- أُتْبِعُ ذلك بالتصريح بوجه الإعجاز العقدي المستنبط من القراءة.

٦- ألتزمُ منهجَ أهل السنة والجماعة، وفهم السلف الصالح في مسائل الاعتقاد.

٧- ألتزمُ توثيقَ النصوص الشرعية، والنقول، ومعلومات البحث كافَّة من المصادر المعتمدة، وَفْق ما تقتضيه أصول مناهج البحث.

التمهيد،
ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المعجزة واحدة المعجزات، وهي في اللغة من أعجز وعجز، والعجز نقيض الحزم، والعجز الضعف، وعجز عن الأمر إذا قصر عنه[١]

وأما تعريفها الاصطلاحي، فقد تنوعت العبارة في ذلك، والمشهور الذي يركن إليه كثير من الدارسين في تعريف المعجزة؛ تعريفُ الإمام السيوطي لها في الإتقان[٢] بأنها: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة"، وبعضهم يذهب إلى ما اعتمده الجرجاني في التعريفات[٣] بقوله في حدِّ المعجزة: "أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة؛ قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسولٌ من الله"

والتعريفاتُ المتقدمة عليه زمنًا قريبةٌ من هذا المعنى، والشأن في ذلك يسير، ولذا نجد الزرقاني لم يتوقف كثيرًا في مناهل العرفان[٤] عند تعريف المعجزة، ونحن نعلم أن لفظ المعجزة لم يرد في كتاب الله تعالى، وإنما كان يعبر عن معناه بألفاظ أخرى؛ كالآية والبرهان والسلطان.

---

(١) انظر: اللسان "عجز".

(٢) ٢/ ٢٥٢.

(٣) التعريفات:٦٧.

(٤) ١/ ٦٣.

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية.

عند الكلام على هذه الحيثية في الحدِّ يتداخل أمران؛ علم القراءات، والقراءات من جهة كونها أداءً، وقد نبَّه على هذا بعض المتأخرين من فضلاء الباحثين[١]؛ وبيانُ ذلك أن تعريف الإمام ابن الجزري؛ والذي يركن إليه كثير ممن يقصد التعريف، إنما هو تعريف للعلم لا للمعلوم فنصُّ تعريفه رحمه الله قوله[٢]: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله" وهو صريح على إرادة العلم كما ترى، والذي يظهر والله أعلم أن المختار في تعريف القراءات ما نصَّ عليه الزركشي في البرهان[٣] بقوله:" والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما" وبنحوه قال الزرقاني في مناهل العرفان غير أنه جنح إلى التفصيل فقال في تعريف القراءات[٤]: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم (مع) اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها".

---

(١) انظر: كلام الشيخ: عبدالحليم قابة في كتابه القراءات القرآنية: ٢٥.

(٢) منجد المقرئين: ٤٩.

(٣) (١/ ٤٦٥).

(٤) مناهل العرفان: (١/ ٤١٠)، وما بين القوسين في التعريف ساقط من النسخة المحال إليها، وهو لازم لفهم السياق، ومستفاد مما نقله الشيخ عبدالحليم قابة في كتابه: القراءات القرآنية: ٢٥.

المطلب الثالث: إعجاز القراءات القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين.

من نظر في كتب توجيه القراءات عند المتقدمين لا يلحظ تقريراً لوجه الإعجاز بأنواعه المختلفة، كما هو الحال عند من تصدى لهذا الأمر من المتأخرين، مع قلَّة الدراسات الواردة في هذا النوع، رغم أن المتقدمين ليس بينهم وبين تقرير وجه الإعجاز في اختلاف القراءات إلا التصريح به؛ ذلك أنهم بلغوا الغاية في توجيه القراءات لغة ومعنى، وفصَّلوا القول في ذلك بما لا مزيد عليه عند مجموع كلامهم، ومعلوم أن هذه المرحلة لازمة ومتعينة لمن أراد بيان وجه الإعجاز؛ فليس إليه من سبيل إلا من هذا الطريق؛ الذي ملأ جوانبَه المتقدمون، واحتفت به عنايتهم من كل وجه، ولا أدلَّ على ذلك من كثرة مصنفاتهم في توجيه القراءات على سبيل الاستقلال.

وليعلم أن الإعجاز في القراءات لا يعدو أن يكون الربط الأخير بين دلالة القراءتين أو القراءات بعد استكمال بناء التوجيه، وهذا الربط لم يغفله المتقدمون بدليل أنهم يقررون قاعدة بقولهم: إن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات، وهذه القاعدة عند النظر والتحليل تدل على تحقق الإعجاز بمغايرة القراءات القرآنية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١): " فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً"، وقرَّر الزركشي في البرهان(٢) أنه باختلاف القراءات

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٩١،٣٩٢.

(٢) ١/ ٤٧٤.

يظهر الاختلاف في الأحكام، وهو منه كالمثال للقاعدة المقررة، وصرَّح ابن عاشور بهذا الأمر فقال[١]: " وأنا أرى أنَّ على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن" بل عدَّ الإمام ابن الجزري رحمه الله هذا التنوع في القراءات من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وأشار رحمه الله إلى أن كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ يقوم مقام آيات، فلو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[٢].

ولذلك فإن جهود المتأخرين في التصريح[٣] بوجوه الإعجاز في كثير من القراءات القرآنية، إنما هو في الحقيقة امتداد لكلام من سبقهم، وتطبيق لقواعد كلامهم المحررة البديعة، وكلٌّ واحد من الفريقين سلك ما غلب على عصره الاهتمام به، وتقديم الحديث عنه؛ فإن كلام المتقدمين مبني على الإجمال من حيث العموم، بينما يعتني المتأخرون بتفاصيل المسائل وجزئياتها.

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٥٦.

(٢) انظر النشر: (١/ ٥٢).

(٣) ممن كتب في ذلك مشكوراً من المتأخرين د. عبدالكريم صالح في كتابه: الإعجاز في تنوع وجوه القراءات، و د. صبري عبدالقوي في كتابه: أثر القراءات في الفقه الإسلامي، و د. صبري الأشوح في كتابه: إعجاز القراءات القرآنية، و د. محمد أحمد الجمل في اطروحته الموسومة بـ: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، وغيرهم، جزى الله الجميع خيراً كثيراً.

الدراسة التطبيقية،

وفيها ستة مباحث:

المبحث الأول: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[(١)].

اختلف القراء في قوله تعالى: لأهب؛ فقرأ ورش وأبو عمرو وقالون بخلف عنه بالياء محل الهمز، والباقون بالهمز[(٢)].

أما قراءة الياء فواضحة الطريق، فهي إخبار عن الله عز وجل[(٣)]، والوجه أن قبله ذكر الرب[(٤)]، ومعنى الآية أن الملَك قال لها: إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاماً زكياً[(٥)]، وجوَّز مكي في الكشف[(٦)] أن القراءة بالياء تخفيف من قراءة الهمز، على ما تقتضيه أصول تخفيف الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسر، وتبعه على هذا التعليل أبو شامة في إبراز المعاني[(٧)] وما ذكراه من اطراد هذا الأصل مسلَّم به عند من ينحى لتخفيف الهمز؛ وهو مذهب حمزة في الوقف[(٨)]، وليس من عمل الكافّة، وبخاصة أصحاب القراءة بالياء

---

(١) مريم: ١٩.

(٢) انظر: التيسير: ١٤٨، وكنْز المعاني: ٤٨٤، ٤٨٥، والنشر: ٢/ ٣١٧.

(٣) انظر: شرح الهداية: ٢/ ٤٠٨،٤٠٩.

(٤) انظر: الكشف: ٢/ ٨٦، والموضح: ٢/ ٨١٥.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٩.

(٦) ٢/ ٨٦.

(٧) ٣/ ٣٥٩.

(٨) وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الأصل له وقفاً بقوله:

=

هنا، فلا يظهر هذا الوجه الذي أشارا إليه، والله أعلم.

وأما قراءة الهمز، فعلى إسناد الفعل إلى الذي خاطب مريم؛ وهو المَلَك المرسل من عند الله تعالى، والهبة لَمَّا جرت على يد الرسول أضيفت إليـه، وإن كانت في أصلها من الله تعالى؛ لأنها صادرة عن أمره سبحانه[١].

وقد ذكر الزجاجُ في معاني القرآن[٢] توجيهاً آخر، بناه على أن في الكلام حذفاً، وتقديرُ الكلام: إنما أنا رسول ربك يقول لك: أَرْسَلْتُ إليك لأهب لك غلاماً زكياً.

ولما أشار المهدوي إلى هذا الوجه في شرح الهداية[٣] أفاد أن هذا الحذفَ مألوفٌ عند العرب في كلامهم، وأنشدَ عليه قولَ الشاعر[٤]:

تقول ابنتي لما رأتني شاحباً ... كأنك يحميك الطعامَ طبيبُ

تتابعُ أعوام تخرمن إخوتي ... وشيبن رأسي والخطوب تشيب

فكأنه قال لها: بلغ بي إلى ما تراه من الشحوب تتابع أعوام، فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه.

وقد سوَّى بين القراءتين أبو منصور في معانيه[٥]، وقال ابن كثير في

= ويسمع بعد الكسر والضم همزه ... لدى فتحه ياء وواواً محولا

متن الشاطبية: ٢٠.

(١) انظر: الكشف: ٢/ ٨٦، وشرح الهداية: ٢/ ٤٠٩، والموضح: ٢/ ٨١٥.

(٢) ٣/ ٣٢٣.

(٣) ٢/ ٤٠٩.

(٤) البيت لأبي الحدرجان، كما في نوادر أبي زيد: ٥٧٥، وهو في الخصائص: ١/ ٣٣٩.

(٥) معاني القراءات: ٢٨٢.

تفسيره[1]: " وكلا القراءتين له وجه حسن، ومعنى صحيح، وكلٌّ تستلزم الأخرى"

ولتعلم أيها القارئ الكريم أن الذي سوَّغ دخولَ هذه الآية في مثال الإعجاز العقدي، هو ما تضمنته قراءةُ الهمز من نسبة الفعل في ظاهره لغير الله تعالى، وأما على قراءة الياء فالنسبةُ متمحضةٌ له سبحانه، وأنت ترى الآيةَ في اختلاف قراءاتها شملت الأمرين معاً، وهذا سرُّ الإعجاز؛ إذا ما تقرَّر هذا بقي أمر آخر، وهو تخريج قراءة الهمز على قراءة الياء، وتخريجها سهلٌ غير ممتنع، وهو من جنس قول الله تعالى عن القرآن: إنه لقول رسول كريم، مع أنه قال سبحانه في سورة براءة[2]﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾؛ فنسبه إليه، وكذلك هو في الآية الأولى، غير أنه نسبته إلى المَلَك نسبة بلاغ، والهبة هنا من الله بلا ريب، قال ابن عطية[3] معللاً نسبتها إلى الملَك: " جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله" وقال أبو شامة في إبراز المعاني[4]: " وإنما جاز نسبة الهبة إلى الرسول سواء كان بالهمزة أو بالياء لكونه أرسله لذلك" ولأجل هذا المعنى استحسن السخاويُّ في فتح الوصيد[5] رمزَ الإمام الشاطبي في هذه الترجمة[6] فقال: "جرى حلو بحره؛ لأن الله في

(١) تفسير ابن كثير: ٩١٢.

(٢) براءة: ٦.

(٣) المحرر الوجيز: (٤/ ٩).

(٤) (٣/ ٣٥٩).

(٥) (٢/ ٣٥٢).

(٦) ونصُّ ترجمته قوله:

=

الحقيقة هو الواهب".

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن أفعالَ العباد خلقُ الله، وكسبٌ للعباد، وعلى هذا الأصل دلائل الكتاب والسنة مجتمعة من غير إعمال بعض وترك بعض، وقد خالفت في ذلك فرقتان؛ الجهمية والقدرية؛ فأما الجهمية فعندهم أن العبدَ مجبرٌ على فعله لا اختيارَ له، وأما القدرية فعندهم أن العبدَ يخلقُ فعلَه، ومذهبُ أهل السنة وسطٌ بين الفريقين(١).

= وهمز أهب باليا جرى حلو بحره ....

متن الشاطبية: ٦٨.

(١) انظر بسط هذه المسألة الخطيرة في شرح الطحاوية: ٤٣٨، وما بعدها.

المبحث الثاني: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[1].

قرأ حمزة والكسائي بضم التاء في قوله تعالى: بل عجبت ويسخرون، وغيرهما بفتحها[2].

أما القراءة بالفتح فواضحة الطريق، وفيها إسناد التعجب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى على ما قرَّره الإمام ابن كثير[3]: بل عجبتَ يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى، من إعادة الأجسام بعد فنائها، وهم بخلاف أمرك يسخرون من قولك.

وأما قراءة حمزة والكسائي بالضم فعلى أن الفعل مسند إلى الله تبارك وتعالى[4]، وفي قراءتهما إثبات هذه الصفة لله جل جلاله من القرآن الكريم على الوجه اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف، كما دلت السنةُ الصحيحةُ الصريحةُ على ثبوتها؛ فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه[5] من حديث أبي هريرة ﵁ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجِبَ الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل».

---

(١) الصافات: ١٢

(٢) انظر: الكافي: ١٩٠، وغاية الاختصار: ٢/ ٦٣٤، وتحبير التيسير: ١٧٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٣٨،١٢٣٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٤٣، وتفسير البغوي: ٧/ ٣٦، والدر المصون: ٩/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٥) كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، برقم: ٢٨٤٨.

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

ومن ذلك أيضاً ما رواه النسائي(٢) بسند صحيح من حديث عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية جبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة".

فقراءة الضم هذه فيها إثبات صفة العَجَبِ لله تعالى، من كتابه، على الوجه اللائق به سبحانه.

قال الشيخ الأمين – رحمه الله – في أضوائه(٣): «بذلك تعلم أن هذه

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة برقم: ٤٦٠٧.

(٢) كتاب الأذان، باب الأذان لمن يصلي وحده، برقم: ٦٦٦.

(٣) ٦/ ٦٨٠.

الآية الكريمة – على قراءة حمزة والكسائي – فيها إثبات العجب لله تعالى فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة».

هذه دلالةُ الآية، إذا سلِم المعتقدُ من آفات التأويل، وعِلَلِ التعطيل، وقد فشا في بعض كتب توجيه القراءات تأويلٌ فاسد لهذه القراءة، باعثه إنكارُ هذه الصفة، زاعمين بذلك أن إثباتها ينافي علمَ الله الأزلي؛ وهذا التوجيه كما أفصح عنه المهدوي في شرح الهداية[1] أن في الآية إضمارَ قولٍ، والتقديرُ عنده: قل يا محمد بل عجبتُ؛ فيكون ذلك مردوداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم استدعى رحمه الله أدلةَ إضمارِ القولِ من كلام العرب[2]، وقرَّر بعد ذلك أن إضمارَ القول كثيرٌ مستعملٌ في كلام العرب. وهو كما قال غير أن سياق الآية يأبى هذا التقدير؛ وهو تقديرٌ في غير محلِّه، مرتحلٌ عن منزله؛ وفيه إخضاعٌ للنصِّ بما لا يوافقُ سياقَه، وأسْلَمُ طريقاً منه التسليمُ والرضى بما وصف اللهُ به نفسَه في كتابه، على منهج أهل السنة والجماعة، ومن لطائف الدلائل ترجمةُ الإمام ابن مالك على هذه القراءة في قصيدته المالكية؛ إذ يقول[3]:

وضـمٌّ بتـا عجبـتَ شـافٍ..... ....

وهو ظاهر عند التأمل.

(١) ٢/ ٤٨٩، وجوَّز هذا الوجه أيضاً السخاويُّ في فتح الوصيد: ٢/ ٤٣٦.

(٢) انظرها في موضع الإحالة السابقة.

(٣) متن القصيدة المالكية: ٩٦.

المبحث الثالث: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى:
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1].

هذه الآية في بيان عاقبة أمر فرعون وآله عندما عصوا الله وكذبوا رسله.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بهمزة وصل، مع ضم الخاء، وقرأ الباقون بهمزة قطع في الحالين مع كسر الخاء[2]، قال الإمام الشاطبي رحمه الله[3]:

....أدخلوا نفر صلا

على الوصل واضمم كسره... ....

وعلى القراءة بهمزة الوصل ولازمها فالفعل أمر من "دخل" الثلاثي على الأمر لهم بالدخول، وانتصاب "آل فرعون" على النداء[4]، وحُذِفَ حرف النداء؛ لأن حذفَه مع المنادَى المعرفة حَسَنٌ، قاله في الكتاب المختار[5] وجوَّز مكي في الكشف[6] وجهًا آخر؛ وذلك أن يكون انتصاب "آل" على إضمار القول فيه أيضًا، والتقدير: ويوم تقوم الساعة يقال: ادخلوا بآل

(١) غافر: ٤٦.

(٢) انظر: التيسير:١٩٢، والعنوان:١٦٧، والنشر ٢/ ٣٦٥.

(٣) متن الشاطبية:٨١ .

(٤) انظر: الكشف: ٢/ ٢٤٥، وشرح الهداية: ٢/ ٥٠١،٥٠٢، والموضح: ٣/ ١١٢٧.

(٥) ٢/ ٧٨١.

(٦) ٢/ ٢٤٥.

فرعون أشد العذاب"، وجعلَ أبو البقاء في الإملاء[١] تقديرَ الكلام: " يقال لآل فرعون"، ومثلُ هذا السياقِ القرآني الشريف مستعملٌ في كتاب الله تعالى، في نحو قوله تعالى[٢]: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾، وقوله سبحانه[٣]: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾، وهذا في الكتاب العزيز كثير[٤].

وأما على القراءة بهمزة القطع فالفعل من " أدخل " الرباعي، وهو معدًى لمفعولين " آل فرعون " و " أشد العذاب "، والقول مضمر، والتقدير: ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، والمخاطبُ بهذا الأمر خزنةُ جهنم من الملائكة؛ حيث يأمرهم الله أن يدخلوهم[٥]، واختار هذه القراءةَ أبو عبيد فيما نقله عنه القرطبيُّ في الجامع[٦]، ومكي بن أبي طالب في الكشف[٧].

وإن المتأمل لسياق الآية بعد توجيه كلتا القراءتين ليعلم بوضوح أن السياق ماض بعزم إلى تقرير مصير آل فرعون، وبيان سوء منقلبهم، وعاقبة

(١) ٢/ ٢١٩.
(٢) الزخرف: ٧٠.
(٣) الحجر: ٤٦.
(٤) انظر: حجة القراءات: ٦٣٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٧٢، ومعالم التنزيل: ٧/ ١٥١، والكشاف: ٣/ ٣٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٠٨.
(٦) ١٥/ ٢٠٨.
(٧) ٢/ ٢٤٥.

حالهم في دار القرار، ثم إن السياق الشريف يتوعد آل فرعون، وهو – أي: فرعون – سابقهم إلى هذا الوعيد؛ فإذا كان مَنْ على دينه ومذهبه في أشد العذاب، كان هو أقرب إلى ذلك، وقد نبَّه إلى هذه اللفتة الإمامُ النحاسُ في إعراب القرآن[١]، وذكر نحوه البقاعي في نظم الدرر[٢].

ومع اتحاد سياق القراءتين، وتوافق تواردهما إلا أن بينهما فرقًا في الدلالة من شأنه أن يكشف وجه الإعجاز في القراءتين، وقد تقرر في توجيه قراءة القطع "أدخلوا" أن الأمر للملائكة الكرام؛ خزنة جهنم، ولا تسل بعد ذلك عما يصحب ذلك المشهد الرهيب من خوف وفزع تتقطع منه القلوب، وترتجف لهوله الضمائر، ولتالي هذه الآية أن يتصور بحق واقع حال أولئك الكفرة، والملائكةُ الغلاظُ الشدادُ يسوقونهم إلى دركات الجحيم استجابة لأمر الجبار سبحانه؛ فهم في تلك الحال قد أطبقت عليهم الظلمات، وانقطع منهم الرجاء، فهم يعلمون يقينًا أنه لا خلاص ولا انفكاك عن زبانية النار، وخزنة جهنم، وهذه القراءة تحقق المعنى في قوله تعالى[٣]: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾، ثم إن هذه القراءة تحمل معنىً لطيفًا يحسن التجمل بذكره، وذلك أن هذه القراءة بهمزة القطع فيها زيادة مبنى على القراءة الأخرى بهمزة الوصل، ومن تبعات ذلك زيادة المعنى، وهذا سَنَنٌ في العربية مشهور، يقولون: زيادة المبنى تدل على زيادة

---

(١) ٤/ ٣٥.

(٢) ٦/ ٥٢١ .

(٣) مريم: ٨٦ .

المعنى[1]، وابن جني قد احتفل بهذه الدلالة، وكان مما قال في كتابه الخصائص[2]: " فإذا كانت الألفاظُ أدلةَ المعاني، ثم زيد فيها شيءٌ؛ أوجبت القيمةُ له زيادةَ المعنى به" والمقصودُ مما تقدم أن القراءة بهمزة القطع فيها زيادة مبنى تناسب سوق الملائكة لهم في ذلك اليوم العظيم، كما تدل أيضاً على ما يصاحب ذلك السوق المفزع من تقريع وتعنيف وتشنيع، كما تدل على ذلك سياقات متعددة في الكتاب والسنة، وأنت تجده حاضرًا هنا أتتْ به الزيادة في مبنى الفعل، ولعل هذه المعاني المتواردة هي ما دفعت ببعض الأئمة المتقدمين إلى اختيار هذه القراءة؛ مثل أبي عبيد ومكي على نحو ما سبقت الإشارة إليه قريبًا.

وأما القراءة بهمزة الوصل فإنها تدل على ما تقرر الحديث عنه ابتداء، غير أننا نلحظ فيها صورة أخرى، وبيان ذلك أن الأمر على هذه القراءة لآل فرعون على تقدير: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب، وفي مثل هذا تحقق أمرين كل واحد منهما يجر وراءه ندامة وحسرة لا انقضاء لها؛ أما الأول: فهو التشهير بهم على رؤوس الخلائق في يوم الجمع، حيث يسمع الخلقُ كلُّهم أمرَ الله لهم، وخطورة هذا الأمر تظهر جليًا حينما تدرك حرص الإسلام على مقابله؛ وهو الستر على الناس، وعدم إيذائهم بكشف أعمالهم، ولقد رعى الإسلامُ هذا الجانبَ أتم رعاية، ولكن الله قدر بحكمته فضح

(١) هذه القاعدة وإن كانت نشأتها في محاضن اللغة، لكنها تندرج ضمن قواعد التفسير أيضاً، ولها استثناءات، وعليها تعقيبات ليس هذا موطن ذكرها.

(٢) ٢/ ٨١٣.

بعض الخلائق يوم القيامة؛ تقريعًا لهم لسوء صنيعهم، ولا يظلم ربك أحدًا، وكان من جملة الأشقياء فرعون وآله؛ بدلالة هذه القراءة الكريمة، وأما الثاني: فهو الفزع العظيم الذي يصيبهم حين يُنادَى عليهم باسمهم؛ ليصيروا إلى ما أعده الله لهم من العذاب الأليم؛ وهذا غاية ما يكون في التبكيت والإهانة والإذلال، وهو معاملة لهم بنقيض قصدهم، وما كانوا عليه في الحياة الدنيا، كما بين الله ذلك بقوله[1]: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

وفي خاتمة هذا المعنى تجدُ دلائلَ الإعجاز واضحةً متناسقةً في هاتين القراءتين تتآلفان في بيان حقيقة مآلهم، وعاقبة صنيعهم، توحي كل قراءة بمعنى فريد، ثم تجتمعان في ختام السياق من غير تناقض ولا تنافر.

(١) القصص: ٤ .

المبحث الرابع: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾[1].

سياقُ هذه الآية في ردِّ زعمٍ باطلٍ، زعمه المشركون في شأن الملائكة عليهم السلام، بقولهم كذبًا ومينًا: إنهم بنات الله[2].

وفي هذه الآية خلاف بين القراء يقرر بمجموعه المعتقدَ السليمَ في الملائكة المقربين؛ فالقراءة الأولى قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي "عباد"؛ بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عَبْد وأما القراءة الأخرى فقراءة الباقين بالنون ساكنة وفتح الدال "عنْدَ" [3] على أنه ظرف، وفي التنزيل ما يشهد للقراءتين معاً؛ لفظاً ومعنى، فللقراءة الأولى قولُه تعالى في مدح الملائكة[4]: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾، وللأخرى قولُه سبحانه[5]: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[6].

وفي قراءة أبي عمرو ومَنْ معه أثبتَ اللهُ العبوديةَ لهم، كما أثبتها في قوله تعالى[7]: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٩، وتفسير ابن كثير: ١٣١٩.

(٣) انظر: التيسير: ١٩٦، وغاية الاختصار: ٢/ ٦٥١، والنشر: ٢/ ٣٦٨.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) الأنبياء: ١٩.

(٦) انظر: الكشف: ٢/ ٢٥٦، وشرح الهداية: ٢/ ٥٠٦، ٥٠٧، والموضح: ٣/ ١١٤٧، ١١٤٨.

(٧) النساء: ١٧٢.

ﵟٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَﵞ، وفي هذا التقرير منه سبحانه ردٌّ على من زعم باطلاً وكذباً أن الملائكة بنات الله، وقد أعظم اللهُ عليهم هذه الفريةَ بقوله في سورة الصافات[1]: ﵟأَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَﵞ؛ فهم عليهم السلام ليسوا بناتِه، ولكنهم عبادُه[2]، ثم إن العبودية المثبتة لهم هنا تتضمنُ عبوديةً خاصة، وهي عبودية القُرْب، كما أشار إلى ذلك في التحرير والتنوير[3].

وأما من قرأ "عند" فالعندية هنا مكانية تقتضي التشريف والتكريم[4]، خلافاً لمن منع العندية المكانية هنا، وجعلها عندية المكانة ورفعة الدرجة[5]، أو أن المراد عند أمره وحكمه، كما جوَّز ذلك في الموضح[6]، والأولُ الحقُّ في هذه المسألة، وهو متضمنٌ لتأويلهم من غير عكس، وعليه الأدلةُ الشرعية؛ من ذلك ما ثبت في الترمذي[7] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

(١) الصافات: ١٥٠-١٥٢.

(٢) انظر: إعراب القراءات السبع: ٢/ ٢٩٥، وحجة أبي علي: ٦/ ١٤١، وتفسير البغوي: ٧/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير: ١٣١٩.

(٣) ٢٥/ ١٨٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/ ٥٨، والكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار: ٢/ ٨٠١، وتفسير ابن كثير: ٩٥٥ .

(٥) انظر: حجة أبي علي: ٦/ ١٤١،١٤٠، والكشف: ٢/ ٢٥٦، وحجة أبي زرعة: ٦٤٧، واللآلئ الفريدة: ٣/ ٣٥٩.

(٦) ٣/ ١١٤٧.

(٧) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم.

الله عليه وسلم: أطَّتِ السماء وحقَّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله[1].

ثم إن قراءة النون شديدةُ المناداةِ عليهم بالسفه، كما قاله البقاعيُّ في تفسيره، معلِّلاً ذلك بقوله[2]: "وذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم في المهمات لا يكونون إلا على أكمل الأحوال"

فاختلافُ القراءات في هذا اللفظ أفاد بمجموعه اتصافَ الملائكة بهذين الوصفين الكريمين؛ فهم عباد الرحمن وعنده، كما قرَّر ذلك الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره[3]، وقد تتابعت النصوص الشرعية في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في التنويه بمقامهم الشريف، وأوصافهم الكريمة، ونفي مطاعن المشركين فيهم.

(١) انظر في معتقد أهل السنة والجماعة في الملائكة: شرح الطحاوية: ٢٧٦-٢٨١.

(٢) نظم الدرر: ٧/ ١٦.

(٣) ٢٥/ ٥٨.

المبحث الخامس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[١].

قرأ الكسائي وابن كثير وأبو عمرو بالظاء محل الضاد، وقرأ الباقون بالضاد[٢]، وكذلك رسمها في المصاحف كما حكاه اتفاقاً بينهم الإمامُ ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره[٣]، قال الإمام الشاطبي – رحمه الله – في العقيلة[٤]:

.... وَالضَّادُ في بِضَنِينَ تَجْمَعُ البَشَرَا

فإن قيل: فقراءة الظاء على هذا لا يحتملها الرسم؟

فالجواب: أن هذا الإشكال لا شك أنه متبادر إلى الذهن، وسابقٌ إليه، وجوابه ما عَلَّلَ به أبو عبيد – وهو حَسَنٌ – إذ يقول[٥]: «مع أن هذا – يعني الظاء – ليس بخلاف الكتاب؛ لأن الظاء والضاد لا يختلف خطُّهما في المصاحف إلا بزيادة رأس إحداهما على رأس الأخرى، فهذا قد يتشابه في خط المصاحف ويتدانى».

قال السخاوي[٦] – رحمه الله – بعد أن نقل هذا التعليل : «وصدق أبو

---

(١) التكوير: ٢٤.

(٢) انظر: السبعة: ٦٧٣، والتيسير: ٢٢٠، والنشر: ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) ٣٠/ ٨٣. وانظر: المقنع: ٩٢، والنشر: ٢/ ٣٩٩.

(٤) عقيلة أتراب القصائد: ١٢. وانظر: الوسيلة: ٢٤٣ وما بعدها.

(٥) انظر: كشف الوسيلة: ٢٤٥ .

(٦) انظر: المرجع السابق.

عبيد – رحمه الله – فإن الخط القديم على ما وصف» اهـ.

مع أن الزمخشري في كشافه[1] حكى في الرسم خلافاً وقال: «وهو – يعني رسم الحرف – في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أُبَيٍّ بالضاد»، وتبعه على ذلك السمين في الدر المصون[2]، وإذا تقرَّر الخلاف في الرسم وهو الأقرب - لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ - فيندفع الإشكال من أصله، ويكون مخرج القراءتين كمخرج غيرهما مما اختلفت في خطِّه المصاحف.

ويحسن بيان ما نفاه الله جل وعلا عن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية، وذلك فرع عن بيان معنى الاشتقاق اللغوي لكلا القراءتين؛ فقراءة الظاء من الظِّنَّة؛ بمعنى: التُّهمة، والظنين: المتَّهم الذي تظن به التهمة[3]، ومعنى الآية في هذه القراءة، على ما قرَّره ابن كثير[4] أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي: بمتهم.

وأشار الفراء في معانية إلى معنى آخر فقال[5]: " ما هو على الغيب بظنين: بضعيف، يقول: هو محتمل له، والعرب تقول للرجل الضعيف، أو الشيء القليل: هو ظنون. سمعت بعض قضاعة يقول: ربما دلَّك على الرأي

---

(١) ٤/ ١٩١.

(٢) ١٠/ ٧٠٧.

(٣) انظر: لسان العرب "ظنن".

(٤) تفسير ابن كثير: ١٥٦٢.

(٥) ٣/ ٢٤٣، ونقله عنه في الموضح: ٢/ ٥٣١، وأشار إلى هذا التوجيه أبو حيان في البحر المحيط: ٨/ ٤٢٦، والسمين الحلبي في الدر المصون: ١٠/ ٧٠٧.

الظنون، يريد: الضعيف من الرجال"، وذكر هذا الاحتمالَ كذلك السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون(١)، ومثَّل له بقولهم: "بئر ظنون" أي: قليلة الماء، ومن لازم ذلك ضعفها.

والرأيُ الأولُ في الاشتقاق أعدلُ، وعليه عامة من تعرض لتوجيه القراءة(٢).

وأما القراءة بالضاد، فهي من الضن بمعنى البخل، ورجل ضنين بخيل(٣)، ومعنى الآية على هذا التوجيه: أي: وما محمدٌ على ما أنزله الله عليه ببخيل؛ بل يبذله لكل أحد(٤).

ووجهُ دخول هذه القراءة في الإعجاز العقدي ظاهرٌ؛ من كونها في مقام الإيمان والتصديق بنبينا صلى الله عليه وسلم؛ وهذا أصلٌ في الاعتقاد بلا ريب؛ وبيان ذلك ما اشتملت عليه القراءتان من نفي هاتين الصفتين عنه عليه الصلاة والسلام؛ فقراءة الضاد نفي لما اتهموه به من الكهانة؛ ذلك أن الكاهن يضِنُّ بما عنده حتى يأخذ عليها حلواناً(٥)، وكان عليه الصلاة

(١) ١٠/ ٧٠٧.

(٢) انظر في ذلك: حجة أبي علي: ٦/ ٣٨١،٣٨٠، والكشف: ٢/ ٣٦٤، وشرح الهداية: ٢/ ٥٤٨، والإملاء: ٢/ ٢٨٢، وفتح الوصيد: ٢/ ٥٠٩، وإبراز المعاني: ٤/ ٢٥٠.

(٣) انظر: لسان العرب "ضنن"، وانظر في توجيه القراءة بما يتفق مع هذا المعنى: معاني القراءات: ٥٣١، والكشف: ٢/ ٣٦٤، وشرح الهداية: ٢/ ٥٤٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٦٣،١٥٦٢.

(٥) حلوان الكاهن: ما يأخذه من المال والرشوة على كهانته. انظر: النهاية لابن الأثير: (١/ ٤٣٥).

والسلام يبشر ويحذر من غير تطلع لما تقدمه أيديهم، قال ابن عاشور في تقرير هذا المعنى[1]: " فأقام لهم الفرق بين حال الكهان، وحال النبي صلى الله عليه وسلم بالإشارة إلى أن النبي لا يسألهم عوضاً عما يخبرهم به، وأن الكاهن يأخذ على ما يخبر به ما يسمونه حُلْواناً ، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله تعالى[2]: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾، وقوله سبحانه[3]: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، ونحو ذلك ".

وأما القراءةُ بالظاء فتؤكدُ صدقَه عليه الصلاة والسلام فيما يبلغه عن ربه، وعلى دلالة هاتين الآيتين يتعين أن يكون معتقد المسلم تجاه نبينا صلى الله عليه وسلم، وأنت ترى دلالة هذا المعتقد الواسع قد جُمِعت لك في هاتين القراءتين الكريمتين.

(١) التحرير والتنوير: (٣٠/ ١٦٢).

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) الأنعام: ٩٠.

المبحث السادس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[١].

قرأ حمزة والكسائي بخفض الدال، والباقون برفعها[٢]، فمن قرأ بالرفع فهو صفة لله جل في علاه؛ إذ مرجع اسم الإشارة إليه – سبحانه وتعالى – في قوله: ذو العرش، ومن قرأ بالخفض فهو صفة لـ " العرش "[٣].

فكلمة المجيد هنا جاءت صفة على كلا القراءتين، والمجد في لغة العرب: الشرف الواسع، من قولهم: مجدت الإبل إذا وقعت في مرعى كثير واسع(٤) فعلى قراءة الجماعة بالرفع فالمجد صفة لله سبحانه، والمجيد من أسمائه الثابتة في الكتاب والسنة، والتي لا تختص بصفة معينة؛ لأن المجد في الأصل وضع للسعة والكثرة والزيادة، فالمجيد أي المتصف بصفات متعددة من صفات الكمال قال ابن القيم[٥]:

وهو المجيد صفاته أوصاف تعـ ـظيم فشأن الوصف أعظم شان

وأما قراءة الخفض فإنها تضيف لعرش الرحمن صفة من صفاته

(١) البروج: ١٥.

(٢) انظر: التذكرة: (٢/ ٦٢٢)، والتيسير: ٢٢١، والنشر: (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: إعراب القراءات السبع: (٢/ ٤٥٧)، والكشف: (٢/ ٣٦٩)، والدر المصون: (١٠/ ٧٤٨).

(٤) انظر: لسان العرب (مجد)، والقاموس المحيط (مجد).

(٥) نونية ابن القيم: ٢٠٣.

الكريمة، والعرش في الأصل اللغوي سرير الملك[١]، وعرش الرحمن سبحانه له صفات مأخوذة من دلائل الكتاب والسنة[٢] فمن أوصافه:

١- استواء الله عليه، استواءً يليق بجلاله وعظمته، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد جاء استواء الله على عرشه في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى[٣].

٢- أنه ذو قوائم، يدل لذلك ما ورد في الصحيحين[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى؟

٣- أنه مخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٥]، فأثبت للعرش رباً فدل على أنه مربوب.

٤- أن الله أمر بعض ملائكته بحمله، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب: (عرش).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢٥٤-٢٥٨.

(٣) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

(٤) البخاري كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي.

(٥) التوبة: ١٢٩.

(٦) الحاقة: ١٧.

٥- أنه أعلى المخلوقات، يدل لذلك حديث أبي هريرة في البخاري[١]: فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ .

٦- أن الله وصفه بالكرم، كما قال تعالى في آخر سورة المؤمنون[٢]:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾، قال ابن كثير[٣]: "ووصفه بأنه كريم، أي حسن المنظر بهي الشكل، أو باعتبار مَن استوى عليه، تقول: بيت كريم إذا كان ساكنوه كراماً، كما ذكر ذلك الشوكاني[٤].

٧- من صفاته كذلك أنه مجيد، بدلالة المجد اللغوية، والاصطلاحية، وهذه الصفة مستفادة من هذه القراءة.

ويذهب بعض من تعرض لتوجيه قراءة الخفض إلى أن المجيد نعت للرب في قوله تعالى: إن بطش ربك لشديد، فيكون التقدير: إن بطش ربك المجيدِ لشديد ذكر ذلك القرطبيُّ في الجامع[٥]، ومنعَ هذا التوجيهَ الألوسيُّ في تفسيره[٦]، واحتجَّ لذلك بأن الأصل عدم الفصل بين التابع والمتبوع، والأظهر والله أعلم أن التوجيهَ الأول أسدُّ مسلكاً؛ لجريانه

(١) كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٢) المؤمنون: ١١٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٠١٣.

(٤) انظر: فتح القدير: ٣/ ٦٢٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (١٩/ ١٩٥).

(٦) انظر: روح المعاني: (١٠/ ١١٨).

على الأصل من جهة، ولإضافته معنىً جديداً في دلالة الآيـة؛ إذ القـراءة على توجيه الإمام القرطبي يتحدُ معناها مع قراءة الرفع، ولا تضيف على السياق معنىً جديدًا مقبولًا.

الخاتمة

وبعد سرد هذه النماذج، ودراسة أوجه الإعجاز العقدي فيها، وما صحب ذلك من الوقوف على عدد من الكتب ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بهذا الموضوع أسجلُ ما يلي:

- أهمية علم القراءات من حيث الجانب التأصيلي، وتعلق هذا العلم الشريف بسائر العلوم.
- أن بيان وجه الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية يحتاج إلى مزيد تحرير وعناية وبحث.
- أن بعض الدراسات المتأخرة في هذا الباب لم تهتدِ لموافقة مذهب السلف في تقرير وجه الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية.
- أن الآيات المحصورة في هذا الباب تتفاوت فيما بينها من حيث الصلةُ الوثيقة بكونها من مسائل الاعتقاد.

كما أوصي بما يلي:

- حصر ودراسة مواضع الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية، وربطها ربطاً وثيقاً بمنهج أهل السنة والجماعة.
- قيام دراسات نقدية لمسالك التوجيه العقدي في كتب توجيه القراءات القرآنية، وبخاصة عند المتقدمين.
- تضمين كتب العقائد عند التصنيف فيها، أو تحقيق تراثها القراءات القرآنية ذات العلاقة، مع بيان وجه دلالتها؛ باعتبارها وجهًا من وجوه الاستدلال المقدَّمة.

فهرس المصادر والمراجع:

- إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة، تحقيق وتعليق: الشيخ محمود جادو، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة «بدون تاريخ».
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة العاشرة، ١٤١١هـ
- أثر القراءات في الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور: صبري عبدالرؤوف حلمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت «بدون تاريخ».
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، تصحيح الأستاذ: إبراهيم عطوة، دار الحديث، القاهرة «بدون تاريخ».
- البرهان في علوم القرآن، تأليف الإمام: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: د. يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، وزملاؤه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، تأليف: الإمام المحقق؛ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، لأبي الحسن بن غلبون، تحقيق: أيمن رشدي سويد، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف الإمام الحافظ: عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، بإشراف: الشيخ: محمود عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه: أوتويرتزل، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٣هـ).
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وجماعة، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي، تصحيح: محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الخصائص، لأبي الفتح؛ عثمان بن جني (تـ ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: أبي الفضل شهاب الدين محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة «بدون تاريخ».
- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، ترقيم: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تأليف العلامة: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ: أحمد بن محمد شاكر، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ
- شرح الهداية، لأبي العباس المهدوي، تحقيق: د. حازم حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية «بدون تاريخ».
- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، لأبي العلاء الهمذاني، تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الإمام: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- القاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
- القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تأليف: الشيخ: عبدالحليم قابة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- القصيدة المالكية في القراءات السبع، نظم الإمام: جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: د. أحمد بن علي السديس، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- الكافي في القراءات السبع، تأليف الإمام: أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، إملاء الشيخ: أبي بكر أحمد بن عبيدالله بن إدريس، تحقيق ودراسة: د. عبدالعزيز بن حميد الجهني، مكتبة الرشد، الرياض، الطلعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت «بدون تاريخ».
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي

طالب القيسي، تحقيق: د. محمد محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- كنْز المعاني شرح حرز الأماني، لمحمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.
- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن الحسن الفاسي، تحقيق: الشيخ: عبدالرزاق بن علي موسى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- مباحث في إعجاز القرآن، بقلم: أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
- متن القصيدة النونية، للإمام: ابن القيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- معالم التنْزيل، للإمام البغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر وزميليه، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: د. عيد مصطفى، د.

عوض القوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: الأستاذ الشيخ: محمد عبدالعظيم الزرقاني، خرَّج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام شمس الدين محمد بن الجزري، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصحف، للإمام الشاطبي، تحقيق د: أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري، أشرف على تصحيحه: علي بن محمد الضباع، دار الكتاب العربي «بدون تاريخ».
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تـ ٨٨٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة الباز، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، تأليف الدكتور:

محمد أحمد الجمل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

- الوسيلة إلى كشف العقيلة، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د: مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.